أضواء جديدة على القبة الصليبية

أحمد "محمد الشافعي" أحمد عبد الرحيم



مجلة كلية الآداب ،جامعة سوهاج، ، عدد٤٧، الجزء الأول ، أبريل ٢٠١٨م



جامعة سوهاج



كلية الآداب

العدد (٤٧)　　الجزء الأول　　أبريل ٢٠١٨ م

مجلة كلية الآداب

دورية - أكاديمية - علمية - محكمة - ربع سنوية







كلية الآداب بسوهاج

مجلة

كلية الآداب

دورية - أكاديمية - علمية - محكمة - ربع سنوية

رئيس التحرير

أ.د. فتوح أحمد خليل

العدد السابع والأربعون - الجزء الأول - أبريل ٢٠١٨م

أضواء جديدة على القبة الصليبية

أحمد "محمد الشافعي" أحمد عبد الرحيم (*)

القبة الصليبية من أهم القباب الباقية في العمارة الإسلامية؛ فهي أقدم قبة ضريحية باقية من العصور الإسلامية، ولقد تناولتها عديد من الدراسات، وظلت لغزا محيرا من حيث وظيفتها وتسميتها، وإلى أي عصر تنسب. و ذهبت معظم الآراء إلى أنها مدفن الخليفة المنتصر، وأصبح أمرا مسلمًا به.

ومن خلال إعادة تناول هذه القبة بالدراسة للوصول إلى حل لهذه الإشكالات المثارة حولها سوف تقوم الدراسة بمحاولة لإلقاء أضواء جديدة لبيان وظيفة القبة والفترة التاريخية التي ترجع لها.

أهداف الدراسة:

١- إلقاء الضوء على ماهية القبة الصليبية، وسبب التسمية.

٢- الوصول إلى تاريخ أكثر دقة لها من خلال ما توافر من معطيات.

تساؤلات الدراسة:

١.هل القبة الصليبية هي الضريح الذي ذكر في المصادر أن أم الخليفة المنتصر قد بنَتها عليه بعد وفاته، وتم دفن المعتز والمهتدى به في فترات لاحقة؟

٢. ما الذي يمنع كون المنشأة حربية أو مدنية، واقتصارها على الوظيفة الدينية وبالتحديد الجنائزية؟

٣. هل من الممكن نسبتها لما قبل الخليفة المنتصر في حال كونها لا ترجع له؟ وهل من الممكن نسبتها لفترات متأخرة عن عصور سامراء بفترات بعيدة؟

(*) مدرس مساعد بقسم الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة سوهاج.

هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: ""سامراء والقطائع"(٢٢١-٢٩٢. هـ/٨٣٥هـ-٩٠٤م) دراسة عمرانية مقارنة في ضوء الاتجاهات الحديثة في دراسة النمو الحضري وتخطيط المدن)، وتحت إشراف: أ.د. حمزة عبد العزيز بدر- كلية الآثار- جامعة سوهاج & أ.د. حسن محمد نور عبدالنور - كلية الآثار - جامعة سوهاج.

إن ظاهرة الدفن انتشرت في القصور والمنازل في سامراء، وعلى سبيل المثال الخليفة المعتصم (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ/ ٨٣٣م - ٨٤٢م) كان قبره بالجوسق بسامراء[١]، وأيضا الخليفة الواثق (٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ/ ٨٤٢م - ٨٤٧م) دفن في قصره الهاروني[٢]، ويبدو أن هذا أصبح ديدن عديد من أهل سامراء؛ فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث عام ٢٥٤هـ/٨٦٧م أن الإمام أبا الحسن العسكري أقام بسامراء، وتوفى في هذه السنة، وصلى عليه أبو أَحْمَد بن المتوكل، ودفن بداره[٣].

ووجدت مواضع عدة استخدمت للدفن في أنحاء المدينة، وتم الكشف عن أحدها؛ حيث ورد في أحد المراجع وجود قبر أمام جامع سامراء [٤] وذكر ابن مسكويه أن الخليفة المتوكل في عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م أمر النصارى وأهل الذمة "بتسوية قبورهم مع الأرض لئلّا تشبه قبورهم قبور المسلمين، وكتب إلى العمّال في الآفاق بذلك [٥]"، وهذا يدل على أن مقابر المسلمين كانت مرتفعة عن الأرض بعض الشيء.

---

(١)- أبو الحسن بن على المسعودي(ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعى، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ج٤، ٢٠٠٥م، ص٣٩

(٢)- أبو جعفر بن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ)، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف،ج٩، القاهرة،١٩٦٠ م، ص١٥٠؛ محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت: ٥٨٠هـ)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١١٣.

(٣)- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ط١، تحق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت،ج١٢، ١٩٩٢م، ص٧٤

(٤)- فقال كاظم الدجيلي يصف قبرا تم الكشف عنه :" وما اكتشفه الدكتور المذكور-أي هرتسفيلد- دكة(دكان) قدام الباب الأصلي من الخارج علوها متر ونصف، وطولها متران في عرض متر ونصف. وعند الدكان من الخارج قبر طوله ثلاثة أمتار، وعرضه متر ونصف، ويظن أنه أطول مما يشاهد؛ لأن طرفه داخل تحت الردم، وبينه وبين المصطبة زهاء مترين"، كاظم الدجيلي، وصف أطلال سامراء، مجلة لغة العرب، بغداد، ج٥، تشرين الثاني ، ١٩١١م، ص١٦٤.

(٥) – أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: ٤٢١هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحق: أبو القاسم إمامي ، ط٢، طهران، ج٤، ٢٠٠٠ م.، ص٢٩٧؛ -الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير (ت:٧٤٤هـ)، البداية والنهاية، تحق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ج٤، ١٩٩٨ م، ص٣٤٢.

سبب التسمية:

يرى البعض أنها سميت بالصليبية نسبة لامرأة عربية من قبيلة تعرف بقبيلة صليب وكانت زوجة أحد الخلفاء، وقيل أنها سميت كذلك لكون هذا المكان في إحدى الفترات مكانا لقطاع الطرق الذين يسلبون المارة؛ فلذلك سميت السليبية من كلمة السلب، وأُبدِل السين صادًا لكن لا تُعرف زوجة لخليفة عباسي من قبيلة صليب (١). بالإضافة لذلك، كيف يقيم أصحاب السلب بمكان ظاهر معروف، وبالقرب من الجسر الذي يؤدي إلى المكان حول ضريح الإمام العسكري الذي ظل عامرا منذ عهد سامراء حتى الآن؟ فقد كان من السهل على الجند أن يقبضوا عليهم في موضع القبة، مع ملاحظة أن من يقوم بالسلب لا يكون له مكان معروف؛ حتى لا يسهل الوصول اليهم من الشُّرَط ناهيك عن أنه مكانا مرتفعا يسهل مشاهدته من جميع الأرجاء.

ويرى البعض أن تسميتها صليبية نسبة إلى تردد أم الخليفة المنتصر على القبر كثيرا وأنها أقامت بجواره، ولفظ "صليبية" من صفتها، وأبدلت السين صادًا؛ حيث إن "السليبية" هي المرأة التي فقدت وحيدها(٢)، ولكن لا يرجح هذا الرأي لعدم التأكد من صحة دفن الخليفة المنتصر (٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م - ٨٦٢م) به؛ لأن إقامة الخليفة المنتصر والمعتز والمهتدي كانت في الجهة الشرقية، وليست الغربية من المدينة ؛حيث أن موضع القبة الصليبية في الجهة الغربية ؛ فدفنه كان في أحد القصور في الجهة الشرقية كما ستوضح الدراسة لاحقا، وهو ما يعنى خطأ هذا التصور بالنسبة للمسمى.

ومن الآراء التي قيلت عن سبب تسميتها بالصليبية كون مخطط القبة يتصالب ويتعامد أي أن تسميتها من تخطيطها(٣)، وذكر أيضا أن تسميتها

---

(١)- ناهض عبد الرازق دفتر ، القبة الصليبية (تنقيبات موسم ١٩٧٤)/ مجلة سومر، ع٥٣،(د.ت). ص٣٧١

(٢)- علاء الدين أحمد العاني، المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق، المؤسسة العامة للآثار والتراث، دار الحرية للطباعة ببغداد، ١٩٨٢م، ص٨١-٨٤؛ بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، تقديم: الاب آلبير ابونا، إصدارات إي-كتب، لندن، ٢٠١٧م، ، ص٧٩٣

(٣)- العاني، المشاهد ، ص٨١؛ عبد الله كامل موسى، العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٩٩

بالصليبية لكونها مكانا للصلب [١]، ولكن من خلال تتبع أماكن الصلب يمكن معرفة أنه لم يكن موضع القبة الصليبية مكانا للصلب؛ فعند حديث الطبري عن صلب "بابك" وهو أحد الخارجين عن الخلافة العباسية قال:" وصُلب بدنه بسامرا عند العقبة؛ فموضع خشبته مشهور"[٢]. وتحدث ابن كثير عن أحد الشخصيات في سامراء فقال: "وفيها خرج رجل يقال له: "محمود بن الفرج النيسابوري"، وهو ممن كان يتردد إلى خشبة بابك، وهو مصلوب؛ فيقعد قريبا منه، وذلك بقرب دار الخلافة بسُرَّ من رأى"[٣]، وهذا يدل على أن خشبة بابك في الجانب الشرقي من دجلة، وبالقرب من دار الخلافة، وقد حدد موقعها "نورتج"(شكل٣)، في حين أن القبة الصليبية في الجانب الغربي كما هو معروف؛ فبذلك يُستبعد ذلك الرأي.

كما يلاحظ أن موضع خشبة بابك أصبح مكانا للصلب؛ فقد ذكر اليعقوبي أنه عند قدوم المازيار -وهو أحد القادة الخارجين عن الخلافة ٢٢٥هـ/٨٣٩م- تم ضربه بالسياط، وصلب جانب بابك[٤]، ومن أماكن الصلب الأخرى التي ورد ذكرها في المصادر "باب العامة"؛ فقد ذكر اليعقوبي أنه بعد حبس الأفشين ٢٢٦هـ/٨٤٠م، تم صلبه على باب العامة ثم أنزل، وتم إحراقه بالنار[٥]، ولم يُذكر -طبقا لما ورد من مصادر- أن هناك أي موضع للصلب في الجهة الغربية؛ وذلك لأن العبرة من الصلب هي التنكيل بالعدو أو الخارجين، وأن يراه العامة فيتعظوا؛ فالأصح أن يكون في الجهة الشرقية؛ حيث المدينة العامرة، وهو ما يتفق مع تحديد "نورتج"، أما الجهة الغربية -حيث توجد القبة الصليبية- فلم يكن بها أعداد كبيرة، بل كان بها بساتين وزروع وبعض المنشآت القليلة جدا كقصر الجص والمعشوق والقبة الصليبية؛ لذا يستبعد هذا الرأي.

---

(١)- أحمد سوسة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، مطبعة المعارف، بغداد، ج٢، بغداد، ١٩٤٩م، ص٤٥؛ يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، مطبعة دار البصري، بغداد، ج١، ١٩٦٨م، ص٣٠٤

(٢)- الطبري، تاريخ الرسل،ج٩ ،ص٥٣

(٣)- ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٤،ص٣٤٢

(٤)- أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب اليعقوبي (ت: بعد سنة ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، ج٣، ١٩٣٩م ، ص٢٠٣

(٥)- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ص٢٠٣

موقع القبة :

تقع القبة الصليبية في الجهة الغربية من نهر دجلة على موضع مرتفع من الأرض تقابلها دار الخلافة من الناحية الشرقية جنوب قصر المعشوق بميل(حوالي١,٦٥٢كم) [١].

التخطيط:

القبة الصليبية بناء مثمن التخطيط يتألف من مثمنين؛ أحدهما خارجي متهدم كثيرا (لوحة ٤)، والآخر داخلي، وبينهما ممر عرضه ٢,٦م، ويرجح أنه كان يعلوه قبو. وعُرف أن وسيلة التغطية كانت القبو من خلال وجود تقوسات للقبو أعلى جدران المثمن الداخلي؛ فالمثمن الداخلي تتكون بداخله قاعة مربعة ٦,٣١م، وجدران القاعة هي جدران المثمن الداخلي، وأعلى القاعة المربعة حنايا ركنية، وهي واسطة الانتقال من المربع للمثمن يستدل من ذلك على وجود قبة [٢]،كما يستدل من سمك السور وتسمية المنشأة بالقبة أنها كانت متوجة بقبة[٣]، وهي تعلو القاعة المربعة، ويرجح أنها كانت في الأصل مبنية من الآجر؛ لوجود حطام للآجر في أرضية الغرفة تم الكشف عنها بواسطة هرتسفيلد الذي رجح أنها حطام للقبة[٤] .

ويبدو أن قطاع القبة الرأسي كان على شكل عقد مدبب، ويلاحظ أنها تشبه قبة الصخرة كثيرا في التصميم، كما يلاحظ وجود فتحة معقودة بعقد مدبب بأضلاع المثمن الخارجي الثمانية، أما المثمن الداخلي ففيه أربعة مداخل تقع على محاور الجهات الأصلية[٥]، وهذه المداخل في المربع الداخلي معقودة بعقود مدببة من نوع المركزين؛ اتساع كل منها ١,٦م، وهي تشبه بعض العقود التي

---

(١)- الآثار القديمة في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٠، ص٧١؛ بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن ، ص٧٩١

(2) -K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture, the university press, oxford,1940,p.283

يونس السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، ص٣٠٥؛ أحمد عبد الباقي، سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، ج١، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص١٨٣

(٣)- الآثار القديمة في العراق، ص٧٢

(4) - Alastair Northedge, The Historical Topography of Samarra, British School of Archaeology in Iraq Fondation Max van Berchem, 2008, p.230

(٥)- حسن الباشا، مدخل ، ص١٧٨

وجدت في مباني سامراء، وليس من نوع المراكز الأربعة الذي وجد في قصر المعشوق[١]، وقد شيد البناء من الجص ولبن كلسي متشابه في ذلك مع مواد البناء المستخدمة في قصر المعشوق[٢]. وسقطت القبة والقبو الذي يغطي الممر، وأعيد بناء القبة، وأصبحت نصف كروية مدببة قليلا بدون رقبة، وتم تسقيف الدهليز بقبو نصف برميلي[٣]، وفى عام ١٩٧٠م تم ترميم القبة بشكل كامل(لوحة٢)[٤]. ومن ضمن ما تم الكشف عنه ٤ سلالم لكل منهما قياس ١٢,٥×٧,٥م[٥].

وقد تم الكشف عن مجموعة مرافق أثناء التنقيبات التي قامت بها مديرية الآثار العامة في العراق، وجاء وصفها كالتالي: "جملة مرافق تتصل بمركز القبة بشكل متناظر، وتتكون من أربع وحدات في كل وحدة بنائية مغسل يشبه الحمام بلطت أرضية الحمام بمادة القار، وفي كل غرفة حوض لجمع الماء بعد الاغتسال أما بقية المعالم البنائية؛ فهي عبارة عن غرف مستطيلة الشكل ذات أقبية نصف برميلية كأنها قبور أعدت لدفن الموتى"[٦]. والتنقيبات في الغرفة الرئيسية التي تقوم عليها القبة كشفت عن ثلاث تكسيرات دفن في كل واحدة طفل بطريقة غير منتظمة، ويقول بشير يوسف فرنسيس: "ويظهر أن رفات الخلفاء الثلاثة قد دفنت على عمق معين في هذه القبة"[٧]؛ حيث يراها ترجع للمنتصر والمعتز والمهتدي.

---

(1) - Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.230

(2-)-Creswell, Early Muslim Architecture,p.284

عبد الله كامل موسى، العباسيون وآثارهم المعمارية، ص٩٩

(٣)- فرنسيس، موسوعة المدن ، ص ٧٩١-٧٩٢

(4) -Samarra Archaeological City, Nomination of Samarra Archaeological City for inscription on the World Heritage List, Republic of Iraq Samarra Archaeological City, January, 2006, p.28

(5)- Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.230

(٦)- دفتر ، القبة الصليبية ، ص٣٧٣؛ فرنسيس، موسوعة المدن ، ص ٧٩٢

(٧)- فرنسيس، موسوعة المدن ، ص٧٩٢

وظيفة الأثر وتاريخه :

يذكر أحد الباحثين أن القبة الصليبية تشبه قبة الصخرة[١]،ولكن يلاحظ أن قبة الصخرة مكان احتفالي خاص بذكرى الإسراء والمعراج، وليس جنائزيًّا[٢]، وبناء على ما في الشكل فإن القبة الصليبية تشابهها في الوظيفة الدينية.

وذكرت هرتسفيلد أن هذه القبة هي البناء الذي ذكره المؤرخون كالطبري والمسعودي وابن كثير وغيرهم بأنه ضريح الخليفة المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨هـ/٨٦١ - ٨٦٢م) والمعتز (٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ/ ٨٦٦م - ٨٦٩م) والمهتدى(٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م - ٨٧٠م) الذي أظهرته أمه عليه [٣]، وسارت على نهجه عديد من الدراسات[٤] ولكن ما ذكره المؤرخون في حديثهم عن مكان دفن المنتصر والمعتز يمكن من خلاله تحديد الموضع بشكل أكثر دقة، فقد قال الطبري عن وفاة الخليفة المعتز: "وكانت وفاته لليلتين خلتا من شعبان... فدفن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع[٥]"[٦].

وذكر المسعودي موضع موت المنتصر ومكان دفنه؛ حيث قال:" وكان أول خليفة من بني العباس أظهر قبره، وذلك أن أمه حبشية سألت ذلك، فأذن لها،

---

(١)- صالح لمعي مصطفى، القباب في العمارة الاسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص٣٢

John Warren, War and the Cultural Heritage of Iraq: A Sadly Mismanaged Affair,
Third World Quarterly, Vol. 26, No. 4/5,2005, p.824

(2)- John Warren, War and the Cultural, p.824

(3)- Samarra Archaeological City, Op.cit., p.28,
Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.230

(٤)- على سبيل المثال: سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبع وزارة الثقافة والشئون الإسلامية، مصر، بدون تاريخ، ج١، ص٤٦، جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة ، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص٢٢٩ وغيرهم.

(٥)- كلمة قصر تدل على أنه بناء خاص بالخليفة أو الأمراء، ومن الجدير بالذكر أن لفظ الصوامع أطلق على بناء مرتفع. وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابئين. قال قتادة: ثم استعمل في مئذنة المسلمين. والبِيَع: جمع بيعة، وهى كنيسة النصارى، والصلوات هي كنائس اليهود؛ فعلى ذلك فالصوامع للرهبان، والبيع للنصارى، والصلوات لليهود، والمساجد للمسلمين "، يحيى وزيري، العمران والبنيان في منظور الإسلام، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بمكتبة الكويت الوطنية، الكويت، ٢٠٠٨م، ص٤٥.

(٦)- الطبري، تاريخ الرسل،ج٩ ،ص٣٩٠

وأظهرته بسامراء"[١]، وذكر ابن كثير عن وفاة المعتز؛ فقال :"وصلى عليه المهتدي بالله -أي المعتز-، ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع"[٢]. وأورد ابن كثير أن المهتدي دفن في مقبرة المنتصر[٣]. وذهب أحد الباحثين أن قصر الصوامع مقبرة للعباسيين أي يقصد أنه ليس قصر يُسْكن فيه ؛وأستند لتدعيم رأيه بما ورد في المصادر من وجود الدفن تحت الصوامع، و تحت تربال/ طربال [٤]، وهو أشبه بالصومعة، فيرى أن القبة الصليبية هي صومعة من صوامع قصر الصوامع[٥]، ولكن لا ترى الدراسة ذلك؛ فكلمة "قصر" في روايات المؤرخين تدل دلالة صريحة على أنه أحد القصور، كما أن ما ورد من قول ابن كثير: "بجانب قصر الصوامع"؛ تعني أنه منشأة منفصلة بجوار هذه المنشأة التي تعرف بقصر الصوامع ، وليس أحد ملحقاته وليست صومعه تابعه له كما يذهب، ومن خلال ما سبق يمكن القول أن موضع دفن الخليفة المنتصر والمعتز كان بجانب قصر الصوامع.

ومن المعروف أن أغلب القصور في تلك الفترة كانت تتركز داخل المدينة بالجانب الشرقي، وليس على الجانب الغربي الذي فيه موضع القبة الصليبية[٦] -باستثناء قصر الجص للمعتصم وقصر المعشوق- بالإضافة إلى تساؤل تطرحه الدراسة حول السبب الذي قد يدفعهم لدفنه بالجانب الغربي؛ فيكون صعب الزيارة على أم المنتصر، وأهل الخليفتين التاليين، ومن يريد زيارتهم من أهلهم، وغيرهم الذين يقيمون في الجانب الشرقي؛ حيث يوجد الجزء العامر من المدينة من قصور ودور؟

---

(١)- المسعودي، مروج الذهب ،ج٤، ص١٠٩
Creswell, Early Muslim Architecture,p.284

(٢)- ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٤،ص٥٠٥-٥٠٦

(٣)- ابن كثير ، البداية والنهاية، ، ج١٤،ص٥٢٢

(٤)- (طربل) الطِّرْبال:" عَلَمٌ يُبْنَى وقيل هو كل بناء عالٍ، وقيل: هي كل قطعة من جبل أَو حائط مستطيلة في السماء. وفي الحديث أَن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِذا مَرَّ أَحدكم بِطِرْبالٍ مائل؛ فليسرع المشي. قال أَبو عبيدة: هو شبيه بالمَنْظَرة من مَناظِر العجم كهيئة الصَّوْمعة والبناء المرتفع... وقال الجوهري: الطِّرْبال القِطعة العالية من الجِدار، والصخرةُ العظيمة المُشْرِفة من الجبل. قال: وطَرابيلُ الشام: صَوامِعُها". محمد بن مكرم بن منظور(ت:٧١١هـ)، لسان العرب دار صادر،بيروت،ج١١،(د.ت)،ص٤٠٠

(٥)- العاني، المشاهد ، ص٨٤

(٦)- دفتر ، القبة الصليبية ، ص٣٧٢

وذكر الخطيب البغدادي مكانًا آخر بجوار مكان دفن المنتصر؛ فقال عن وفاة المعتز: "ودفن بموضع يقال له باب السميدع"[١]. هذا وقد ذكر نورتج موضعًا رأى أنه لباب السميدع (شكل ٤)؛ وهو يقع إلى الجانب الشرقي بالقرب من قصر الجوسق الخاقاني، ويرى نورتج أن الخليفة المنتصر والخليفة المعتز والمهتدي دفنوا في قصر الجوسق[٢]، وقد ذكر أن ظاهرة دفن الخلفاء في القصور مثل الخليفة المعتصم في الجوسق والخليفة الواثق في الهاروني والمتوكل في الجعفري أثّرت على من بعدهم؛ حيث يرى أن دفن المنتصر (ت:٢٤٨هـ/٨٦٢م) والمعتز(ت:٢٥٥هـ/٨٦٨م) والمهتدي(ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م) كان في الجوسق، أما الخليفة المعتمد (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ/ ٨٧٠م - ٨٩٢م)؛ فذكر أنه دفن في سامراء، لكن لم يؤكد أنه دفن في المعشوق، ورجح نورتج أن القبور التي في القبة الصليبية قبور ثانوية[٣].

ومن هنا يمكن استبعاد كون القبة الصليبية مكانًا لدفن الخليفة المنتصر والمعتز والمهتدي، وأن مقبرتهم بالجهة الشرقية، وليست الجهة الغربية التي بها القبة الصليبية؛ وهو ما سوف تؤكده الدراسة لاحقا .

ومن خلال الأدلة الأثرية؛ فتاريخ هذه القبة يعود لفترة سامراء العباسية في فترة الخلافة؛ وذلك بناء على الشكل ومواد البناء حيث إن مواد البناء مثل التي استخدمت في قصر المعشوق؛ فيرجح كونها من فترة متأخرة من سامراء -أي قبل الانتقال لبغداد-[٤]، حيث يذكر نورتج أنه يجب أن تكون هذه المقبرة من فترة مبكرة؛- أي لا ترجع للقرون التالية عن فترة وجود الخلفاء بها- وذلك لما وجد بها من كتابات كوفة[٥] ومن الجدير بالذكر أن هرتسفيلد أشار إلى وجود كتابات أسفل الجدران تشير إلى وجود قبور[٦].

---

(١)- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣)، تاريخ بغداد، تحق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ج٢، (د.ت).، ص١٢٥

(2)- Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.23٠

(3)- Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.231-232

(4-) -Creswell, Early Muslim Architecture,p.284

عبد الله كامل موسى، العباسيون وآثارهم ، ص٩٩

(5)- Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.231

(6)- Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.230

وذهبت إحدى الدراسات إلى تفسير ما ذكره المقدسي بأنه يخص قبة الصليبية؛ فعند وصفه جامع المتوكل استطرد قائلا: "...وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق... وهي من الجانب الشرقي وفي الغربي بساتين، وكان قد بني ثم كعبة وجعل طوافاً واتخذ منى وعرفات، غربه أمراء كانوا معه لما طلبوا الحج خشية أن يفارقوه؛ فلما خربت وصارت إلى ما ذكرنا سميت "ساء من رأى" ثم اختصرت وقيل سامرا". ولكن هذه الرواية رفضت لكونها غير محتملة ومدسوسة للنيل من تمسك العباسيين بأحكام الدين؛ حيث كانت المعارضة دائما تروج إشاعات لتشويههم. ويرى "نورتج" أنه ربما قصد بالقبة الصليبية المنشأة التي ذكرها المقدسي؛ لأنه ذكرها في حديثه عن الجانب الغربي والقبة هي المبنى الوحيد المتبقي ومن الممكن أن يقصده. ومن المرجح أنه كان يمر-أي المقدسي- على الضفة الشرقية متنقلا من بغداد إلى سامراء؛ فشاهد هذه القبة على الضفة الغربية؛ فسأل، وتلقى القصة في الجواب. ويذهب "نورتج" أنه على الرغم من وجود الافتراءات إلا أنها ليست كاذبة تماما؛ فبها بعض الإشارات التي تكمن في حساسية الخليفة الذي أشار إليه المقدسي من الاتهامات التي كانت توجَّه للأتراك لعدم معرفتهم بتعاليم الإسلام بشكل صحيح؛ فمن الممكن أن الخليفة أراد غرس المعرفة بطقوس الإسلام وبناء نموذج لتكرار مراسم الحج، ولكن لم يحدد المقدسي هوية الخليفة، ويرى نورتج أنه ربما كان المعتمد، وأنه أنشأه لتعليمهم أصول الدين؛ فاتُّهم بأنه أستخدمه بديلا للكعبة من قبل المؤرخ أو العامة، وأن الغرض منه كان تعليميًّا. ويرى نورتج أن الأدلة الأثرية تؤيد هذا التفسير؛ حيث تم الكشف عن منصة خارجية حديثا، وسلالم تدلل على استقبال عدد من الناس للاحتفال، أو اقامة المراسم الخاصة بالحج، أكثر من كونها ضريحًا؛ لأنه معد لاستقبال أعداد كبيرة، ولأن المنصة الخارجية مناسبة للطواف؛ لكن لا توجد أدلة حول الاحتفالات -في المكان- المرتبطة بـ"مِنى وعرفات" من رمي الجمرات، والوقف بعرفة، ويرجح نورتج أنها بنيت للطواف، وأنها نموذج للكعبة[1].

---

(١)- المقدسي ، أحسن التقاسيم، ج١، ص١٣٣

Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.231-232

ولكن الدراسة ترفض ذلك خاصة لتشابه هذه القصة مع ما ورد من أحد المؤرخين عن قبة الصخرة، وأن الخليفة عبدالملك بن مروان بناها لصرفهم عن حج البيت الحرام، وكان ذلك للنيل من الأمويين. وقد ذكر هذه الرواية ابن كثيرفقال: " وبلغ ذلك عبد الملك –أي أن عبدالله ابن الزبير يؤثر على الناس في الحج، ويأخذ تأييدهم- فمنع الناس من الحج، فضجوا؛ فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى؛ ليشغلهم بذلك عن الحج، ويستعطف قلوبهم، وكانوا يقفون عند الصخرة، ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة"[1]. وخاصة أن طبيعة المبنى لا يشبه الكعبة من حيث الشكل أو أي من الأماكن التي ترتبط بشعيرة الحج، وإن كان نورتج يذهب إلى أن تعدد الأبواب دليل على أنه احتفالي؛ لأن ذلك يعني كثرة الزائرين، ولكن وجدت أضرحة عديدة تعددت فيها المداخل كما ستوضح ذلك الدراسة لاحقا، وما الذي يمنع كثرة الزائرين للضريح بخاصة يوم الجمعة، كما أن هيئة المبني من الداخل ووجود ممر ليس دليلا على كونه للطواف؛ ففي حالة الضريح يكون كذلك؛ حتى يستقبل القبر أكبر عدد من الزائرين بكونه في المنتصف، ويلتفون حوله في الممر فيتمكن أكبر عدد من الناس من الوقوف أمام القبر والدعاء للميت ويكون خروجهم من أقرب نقطة من وقوفهم بدون ازدحام وهذا يفسر كثرة المداخل والسلالم المحيطة بالضريح. ومن هنا ترفض الدراسة كونها مجسماً ورمزا للكعبة، وأنها استخدمت للطواف، وتؤكد على كونها ضريحًا، كما أن الفقهاء والمعاصرين للخلفاء لا يصمتون على هذا الفعل إن كان بغرض التعبد، وأن تكون بديلا للكعبة، كما يشير المقدسي لاسيما أن لهم مواقف قوية في المسائل التي رفضوها كما حدث في "فتنة خلق القرآن" مثلا التي أودت بحياة الكثيرين، كما أن مكة ظلت طوال تلك الفترة لم تحدث بها فتن أخرجتها عن الحكم العباسي هي أو بلاد الحجاز إلا الفتن القليلة التي لم تؤثر كثيرا في سير عمليات الحج؛ فنورتج يفترض أن المقصود من رواية المقدسي أنها ربما لم تكن مكانا لاستبداله بالكعبة، بل كان مكانا تعليميا، ولكن في النص إشارة واضحة لا تقبل التبديل عن أن الهدف من المكان الذي يقصده المقدسي أنه مكان بديل للكعبة، وأنه بني لصرف الحجاج من الأمراء عن

---

(١)- ابن كثير، البداية والنهاية، دار عالم الكتب،ج١٢ ،٢٠٠٣م، ص٤٢
Northedge, The Historical Topography of Samarra,p. 232

الكعبة المشرفة في مكة، وليس مكانا تعليما لتعليمهم شعائر الحج، ويتضح من ذلك أنها قصة غير صحيحة ويستبعد رأي نورتج .

ومن الآراء التي قيلت عن وظيفة القبة أنها كانت منظرة على رأس الجسر من الجهة الغربية، وقبة حراس الجسر نظرا لوقوعها أمام الجسر(١)، ولكن القبة لو كانت برج مراقبة لمدخل سامراء أو منظرة لجسرها؛ لارتبط بناؤها بمبانٍ أخرى(٢)، وكثرة المداخل لا يؤيد كون المكان ذا طابع حربي.

وهو يعني عدم تأمين المبنى؛ فلو كان ذا صفة حربية أو عسكرية؛ لكان هناك اهتمام بتأمين المبنى، ووجود ممر داخلي يحيط بالمربع لا يتناسب وظيفيًا مع المنشآت الحربية؛ فما الداعي لوجود المنطقة المربعة في الداخل والممر؟ وأيضا لكون القبة الصليبية تشبه قبة الصخرة؛ فيرجح كونها ذات غرض ديني، وليس حربيًّا.

ومن الجدير بالذكر أن القبة وُجدت في بعض الأضرحة كنوع من إظهار أهمية المتوفي في بعض العصور سواء كان شخصية دينية أو غيرها كبناء القبة على ضريح الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) في فترات لاحقة لوفاته حيث بنيت عليه - ٦٠٨ هـ - ١٢١١م كنوع من التكريم له وإظهار مكانته كما ذهب البعض، فالقباب ارتبطت بالأضرحة وخاصة أن مساحته صغيرة ، ومن هنا فوجود القبة والممر وتعدد المداخل يرجحون كون المكان ضريح وليس مكانا حربيا أو مدنيا .

فوجود القباب على القبور عرف قبل سامراء العباسية في فترات قريبة منها قبل منتصف القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي؛ فلما توفيت أم الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بنيت عليها قبة بأمر الرشيد عرفت بالقبة البرمكية(٣)

ومما يرجح كون هذا المكان ضريحًا ما اعتاد عليه العرب من دفن موتاهم في الأماكن المرتفعة، والقبة كما ذكرت إحدى الدراسات أنها على مكان مرتفع

---

(١)- أحمد سوسة، ري سامراء، ج١، ص٩١؛ ذبيح الله السامرائي، مآثر الكبراء ، ص٢٦٤؛ دفتر، القبة الصليبية، ص٣٧١

(٢)- فرنسيس، موسوعة المدن ، ص٧٩٢

(٣)- محمد حمزة إسماعيل الحداد، القباب في العمارة المصرية الإسلامية القبة المدفن؛ نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر المملوكي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣٩

في أعلى نقطة في هذه المنطقة[١]. ولا تزال هذه العادة منتشرة حتى الآن في العراق في القرى والأرياف؛ أي البناء على مكان مرتفع، كما أن البناء بالقبة فوق المدفونين عرف في تلك الفترة؛ فقد روي أن أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان (ت:٣١٧هـ/٩٢٩م) بنى على قبر الإمام على (رضي الله عنه) قبة مرتفعة الأركان، وهذه الظاهرة انتشرت في قبور الأئمة؛ من حيث تعدد المداخل للتخفيف من الزحام وعدم وجود قبر مرتفع في القبة الصليبية لا يعد دليلا لرفض كونها قبرًا؛ فكثير من القباب لا يبرز القبر فيها ويكون جثمان الميت تحت أرضية القبة، بحيث لا يوجد أثر يدل على وجود قبر مثل (قبة مشهد الشمس في الحلة)[٢] وظاهرة تعدد المداخل من الجهات الأربع ارتبطت بالأضرحة كثيرا مثل مدفن إسماعيل الساماني (٣٠٣هـ/٩٠٧م) بمدينة بخاري .

ومما يدلل على ترجيح كونها قبة ضريحية ما وجد في العصور التالية من قباب على القبور تتشابه معها في مصر كغيرها من التأثيرات التي حملها أحمد بن طولون؛ فوجدت في جبانة أسوان أضرحة تشبهها[٣]. وأيضا تشابهت معها القباب المعروفة بالسبع بنات في تعدد المداخل ووجود القبة أعلاها.

وأيضا ما وجد من المراقد التي كانت منتشرة خارج سور مدينة سامراء من الجهة الشرقية (عند باب بغداد) (لوحة٣) وهى التي يعود إنشاؤها للقرن التاسع عشر الميلادي، وتتشابه مع القبة الصليبية بالرغم من الانقطاع الحضاري بين المرحلتين[٤] ، إلا أن كونها قبابًا ضريحية يرجح كون الأصل المستمَد منه شكل هذه القباب و هو القبة الصليبية متشابه معهم في الوظيفة وهي الدفن، وربما استمر هذا النمط فترات لاحقة من عهد القبة الصليبية -وذلك بترجيح كونها

---

(١)- يونس السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، ص٣٠٤؛ خلود م الأحمدي، سامراء عاصمة الخلافة العباسية ، ص٦١؛ فرنسيس، موسوعة المدن ، ص٧٩١

(٢)- فرنسيس، موسوعة المدن ، ص٧٩٣

(٣)- العاني، المشاهد ، ص٨٢-٨٣

(٤)-زكريا هاشم أحمد
تاريخ الزيارة:١-١-٢٠١٨
من موقع
https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1913457662257513&set=rpd.100007798924732&type=3&theater

ضريح- حتى عهد هذه المراقد، أي يرجح أن نمط المدافن اتخذ شكل القبة الصليبية في العصور اللاحقة في سامراء متأثرا بها في النمط .

وقد تمكن هرتسفيلد أثناء التنقيبات عام ١٩١١م من الكشف عن ثلاثة قبور تحت أرضية القبة أرجعها للخلفاء الثلاثة المنتصر والمعتز والمهتدي[١]، وأشار نورتج إلى أن جرابار وبلر شككا في صحة رأي هرتسفيلد، وأن رأي زاره وهرتسفيد كان قبل إجراء الحفريات -حيث القبور حديثة- وخاصة أن ابن أعثم الكوفي ذكرا أن المنتصر دفن في الجوسق، ويذكر نورتج أن القبة الصليبية كانت مجرد جوسق وأنها نسخة مثمنة من جوسق الحديقة الأموية التي اكتشفها ألبرت في الرصافة[٢].

ومن الجدير بالذكر أن ابن أعثم الكوفي قد تحدث عن الخليفة المنتصر والمستعين وأماكن دفنهم؛ فقال: "ولقد كانت مدة خلافته مثل مدة شيرويه بن كسرى قاتل أبيه، وكان عمره أربعا وعشرين سنة، وكانت وفاته بسامراء في القصر المهذب، وصلى عليه أحمد بن محمد بن (أبي) إسحاق المعتصم بالله- المستعين- وكنيته: أبو العباس، ودفن في موضع يقال له: الجوسق " ويتضح من ذلك أنه دفن بالجوسق [٣].

ويلاحظ هنا في القصر الذي ورد في النص السابق باسم "المهذب" وبمراجعة قصور سامراء في العصر العباسي لا نجد هذا الاسم كما لم تذكر المصادر أن الخليفة المنتصر قد بنى أيًّا من القصور في فترته؛ لأنه تولى فترة قصيرة لا تتجاوز ستة أشهر تقريبا؛ فترجح الدراسة أن المقصود باسم "القصر المهذب" هو "القصر المحدث"؛ لتشابههما في عدد الأحرف؛ فربما كان هناك خطأ في النقل فصارت المحدث المهذب وخاصة أن قصر المحدث من قصور سامراء؛ فيوجد قصر" الجعفري المحدث" و"الجوسق المحدث" وكلاهما في سامراء في الناحية الشرقية.

---

(١)- دفتر ، القبة الصليبية ، ص٣٧١؛

Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.230

(2)- Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.230

(٣)- أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي(ت:٣١٤هـ) ، الفتوح، تحقيق: علي شيري،دار الأضواء، بيروت، ج٧، ١٩٩١م، ص٤٤٢-٤٤٣.

Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.231-232

ومن خلال النص السابق ذكر نوتج أنه دفن في الجوسق ولكن لما لم يأتي صراحة أنه دفن في الجوسق في النصوص التاريخية التي ذكرت أنه بجانب قصر الصوامع أو مقابل لـ"لباب السميدع" فربما كانت هذه المواضع مجاورة للجوسق الخاقاني أو من ملحقاته، وأيا ما كان الأمر فهو دفن في منطقة كانت بها قصور لوجود "باب السميدع" و"قصر الصوامع" وهو يرجح أنه كان هذا الموضع في الجهة الشرقية لتركز القصور وهو ما يتفق مع دفن الخلفاء السابقين له في القصور بالناحية الشرقية، أما القبة الصليبية فتقع في الناحية الغربية، ويرجح طبقا لذلك أن مقبرة هؤلاء الخلفاء توجد بالجهة الشرقية.

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن ما ذكره الأصفهاني بقوله: "وبنى المعتمد المعشوق، والبيتين المعروفين بالغَنج والبَهِج" دليل على أن هناك موضعًا يسمى الغنج يرجع للخليفة المعتمد[1]، ويرى أن القبة الصليبية هي "بيت الغنج" طبقا لتفسيره بيت البحتري:

فالزَّوُّ والجوسقُ الميمونُ قابَلَهُ غنْجُ الصبيحِ الذي يُدعَى بصنَّاجِ "بحر البسيط"

ويستنتج من ذلك أن موضع البيت المعروف بالغنج -طبقا لقول البحتري- هو موضع القبة الصليبية؛ لأن المقابلة مع قصر الجوسق هي محاذاة بين موقعين على ضفاف دجلة لذكر" قصر الزو" بوصفه أحد منشآت ذلك النهر؛ فيرى بذلك أن القبة الصليبية هي بيت الغنج، وأن تشابهها في مواد البناء مع مواد بناء قصر المعشوق الذي يرجع للخليفة المعتمد يؤكد ذلك[2]، وهناك ثمة تفسير آخر للشعر السابق تذهب إليه الدراسة؛ أنه ربما لا يشير إلى بيت الغنج في الشعر السابق ، ولكن يشير إلى قصر الصبيح؛ وهو أحد قصور سامراء، وتختلف الدراسات من كونه في "المتوكلية" أم في مدينة "سامراء". ويلاحظ أن كلمة الصبيح لا تستخدم كثيرا في الأشعار والكتابات، وربما هنا تشير إلى قصر الصبيح وأن البيت فيه إضافة الغنج لـ"الصبيح". والغنج يعني: "الدَّلال" في أحد

---

(١)- أبو فرج الأصبهاني، أدب الغرباء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٥٠، زكريا هاشم أحمد الخضر، خطط سامراء وإشكالية تحديد المواضع بين النصوص التاريخية والدراسات الحديثة، ماجستير، كلية التربية قسم التاريخ ، جامعة سامراء، ٢٠١٦م، ص١٧٣.

(٢)-زكريا هاشم، خطط سامراء، ص١٧٣

معانيه[1]؛ فالمقصود بالبيت: "تدلُّل قصر الصبيح"؛ فيكون المعنى من قبيل المجاز.

وهذا يعنى أن "قصر الصبيح" يقع إلى الجانب الشرقي للمدينة مقابلًا قصرى "الجوسق" و"الزو"؛ لأن" قصر الزو" عبارة عن مركب نيلي؛ لذا بدأ به ثم ذكر الجوسق الذي يقع إلى الشرق منه؛ فمن المفترض أن يستكمل الشاعر الوصف ناحية الشرق في البيت الثاني بذكر غنج الصبيح ..إلخ؛ فلو كانت المباني ناحية الغرب من دجلة لبدأ في شعره بقصر الجوسق، ثم ذكر الزو الذي يقع ناحية الغرب منه، ثم استكمل غربًا؛ فذكر منشأة "غنج" أو "الصبيح"؛ فسواء أكان قصر الغنج أو الصبيح فالدراسة ترجح أنه يقع إلى الناحية الشرقية من المدينة مقابلا للجوسق والزو، وليس في الناحية الغربية حيث توجد القبة الصليبية.

وترى الدراسة أن الأكثر قبولا أن المقصود به في الشعر السابق قصر الصبيح فلو كان الصبيح؛ فهو بلا شك يقع في الشرق، وليس الغرب؛ لارتباطه بما عرف ببركة البحتري، وهي تقع جهة الشرق، إما في سامراء أو في المتوكلية؛ حيث اختلفت الآراء في مكانها لكن اتفقت على كونها بالشرق، في حين أن موضع القبة الصليبية في الغرب وليس الشرق، كما أن القبة الصليبية مفتوحة الجوانب الثمانية بالخارج، وهو لا يتطابق مع وظيفة المنشآت المدنية من جلوس الخليفة أو غيره بالداخل؛ فيكون معرضا للخطر لوجود المداخل من كافة الجوانب، كما أنه إذا جلس في مربع القبة التي لا يوجد بها غير أربعة مداخل في الجهات الأصلية، وهذا يؤدي لعدم رؤيته كافة الجوانب لعدم وجود الاتصال البصري مع المداخل الثمانية الأخرى؛ فهذا التصميم وظيفيًا لا يمكن أن يكون منشأة مدنية أو عسكرية يجلس بداخلها أي من الأشخاص لصعوبة الاتصال البصري، ولضيق المساحة داخل المربع، وضعف الجوانب الأمنية. وما سبق ذكره من أسباب ترجيح كون القبة الصليبية ضريحًا يجعل الدراسة تستبعد كونه أحد المنشأتين السابقتين.

---

(١)- ابن منظور، لسان العرب ، ص ٣٣٧

كما أنه لا يمكن أن يكون المقصود بها قبة المظالم؛ لأن قبة المظالم من المرجح أنها كانت من الأبنية بدار الخلافة؛ فقد ذكر الطبري في أحداث ٢٥٥هـ /٨٦٨م -عند حديثه عن وصول موسى بن بغا إلى سامراء- خط سيره في المدينة قائلا: " حتى صار إلى باب الحير مما يلي الجوسق والقصر الأحمر، وكان ذلك يوما جلس فيه المهتدي للناس للمظالم، فكان ممن أحضره في ذلك اليوم بسبب المظالم أحمد بن المتوكل بن فتيان، فكان في الدار إلى أن دخل الموالي، فحملوا المهتدي إلى دار ياجور، واتبعه أحمد بن المتوكل إلى ما هناك، فلم يزل موكلا به في مضرب مفلح إلى أن انقطع الأمر، وورد المهتدي إلى الجوسق"(١) أي أنها تقع بدار الخلافة بالجهة الشرقية وليست بالجهة الغربية حيث القبة الصليبية.

ويلاحظ أنه عند إجراء تنقيبات في القبة تم العثور على تكسرات في أرضية القبة ودفن غير منتظم لثلاثة من الأطفال على بعد ثلاثة أرباع المتر ويتضح من دراستها أنها تمثل دفنا متأخرا (٢) .

وترى إحدى الدراسات أن هذه القبة ترجع لفترة الخليفة المعتمد، وأن أحد الاحتمالات كونه دفن بها؛ وذلك لأنه بعد موته في بغداد تم إرساله لسامراء ليدفن. وقد يؤيد هذا الرأي قرب القبة من القصر المذكور، وأن المعتمد على الله ربما كان قد بناها؛ لتكون ضريحا له(٣). وقد ذكر نقل جثمانه لسامراء ودفنه بها "الذهبي"؛ فقال: "مات فجأة -أي المعتمد- لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ببغداد، ونقل؛ فدفن بسامراء"(٤) .

ويرى كريزول أن المواد التي استعملت في بناء قصر المعشوق تتشابه مع مواد البناء في القبة الصليبية كما ذكرت ذلك الدراسة آنفا، من استخدام الآجر الجصي في المعشوق وفي القبة، وهو نادر الوجود في أبنية سامراء الأخرى؛ كما يشابه قياس الآجر في القصر والقبة حيث إن قياساته بلغت ٣٢×٣٢×٩ سم، وأيضا

---

(١) - الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٣٨

(٢)- دفتر ، القبة الصليبية ، ص٣٧٢؛ محمد عبد الستار عثمان، دراسات أثرية في العمارة العباسية والفاطمية، (د.ت)، ص٩٢

(٣)- أحمد عبد الباقي، سامرا ، ص١٨٣

(٤)- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت:٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، دار الرسالة، ج١٢، ٢٠٠١ م، ص٥٥٣، ص٥٥٣

وجود القبة بالقرب من قصر المعشوق يعزز من ذلك [١]. أما العقود التي تعلو القبة فهي عقود مدببة ذات مركزين، وتشبه العقود التي وجدت في سامراء في العصور العباسية، واستخدمت العقود المدببة ذات المراكز الأربعة في قصر المعشوق[٢].

ويذهب "عادل عبو" إلى أن القبة ترجع للخليفة المعتمد واستدل على رأيه بنقل جثمان الخليفة المعتمد إلى سامراء؛ مما يدل على أن المعتمد أعد لنفسه قبرا بسامراء، وأيضا استند إلى رأي كريزول عن وجود مادة بنائية وصفها بـ" الغريبة"؛ وهي اللبن الجصي في كل من القبة الصليبية وقصر المعشوق وعدم وجودها في مبان أخرى في سامراء، وقد اعترض علاء الدين أحمد العاني على توجهه بأنه تم دفنه هناك-أي المعتمد- في سامراء؛ ليكون بجوار أقاربه وأهله؛ أي لا يعني هذا وجود مدفن معد له مسبقا. واستدل بنقل جثث إخوة المعتمد إلى سامراء على الرغم من عدم وفاتهم في سامراء مثل إسماعيل بن المتوكل على الله توفى في واسط ٢٧٣هـ/٨٨٦م فنقل جثمانه لسامراء، وأيضا ميمونة بنت المتوكل التي توفيت في بغداد ٣٠٨هـ/٩٢٠م؛ فنقل جثمانها لسامراء. وبهذا يستدل هذا الباحث على أن المعتمد تم نقله لسامراء؛ ليدفن بجوار أهله، وبذلك يرفض الرأى القائل أن نقل المعتمد لسامراء يُستدَل به على وجود مبنى معد له سابقا، ويرفض هذا الباحث كون اللبن الجصي المستخدم في كلا المنشأتين دليلا على أنهما من فترة واحدة؛ لأنه يرى أنه ربما يكون قد استُخدم في مبانٍ عفى عليها الزمن. ويرى أنها مدفن المنتصر[٣]، ويبدو أن ما توجه إليه الباحث السابق من رفض الربط بين القبة الصليبية وقصر المعشوق؛ لوجود مادة البناء مشتركة بينهما بعيد عن الحقيقة؛ فطالما لم تصلنا مبان قديمة استخدمت فيها مواد البناء المشتركة بين القبة الصليبية وقصر المعشوق؛ فيبقى الترجيح قائما من تشابه المادتين في كلا المنشأتين دون سواهما الأقوى دلالةً على أنهما من فترة واحدة؛ حتى يتم الكشف عن مبان توجد بها مواد البناء نفسها، وخاصة بعد

---

(١)- دفتر ، القبة الصليبية ، ص٣٧٣

(2)- Alastair Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.230

(٣)- العاني، المشاهد ،ص٨٤-٨٥

الأدلة الجديدة حول عدم وجود قبر المنتصر في الجهة الغربية حيث توجد القبة الصليبية .

وهناك ثمة تساؤل لماذا يرى الباحث السابق أن قبر إسماعيل بن المتوكل بعيدا عن القبة الصليبية؟ ولم لا تكون القبة أعدت لهذه الشخصية البارزة خاصة أنه شقيقه؛ فهو ابن الخليفة المتوكل والمعتمد ابن المتوكل فلعل المعتمد قد بناه لأخيه اسماعيل، و قد يكون دُفن المعتمد فيه أيضًا معه بعد وفاته أو أنه قد بني خصيصًا للمعتمد في فترات لاحقة.

وبناء على ما تقدم فإن الدراسة تؤكد ما ذهبت إليه بعض الدراسات [1]، من أن القبة ترجع لعهد الخليفة المعتمد في ضوء المعطيات المتاحة يعد مقبولا؛ لأن إظهار الأضرحة في سامراء ببناء واضح وظاهر يبدأ بقبر المنتصر؛ فيُستبعد أن يرجع لفترة قبل المنتصر؛ فيرجح أنه يرجع لفترة خلافة المعتمد، وربما كان خاصا بالخليفة المعتمد، وخاصة أن مواد البناء متشابهة مع قصر المعشوق كما ذكر كريزول، كما أنه آخر شخصية عظيمة تسكن سامراء في الفترة العباسية، وتدفن به بعد انتقاله لبغداد بفترة قليلة؛ لمكوث الخلفاء بعده في بغداد ودفنهم فيها.

كما أن القبة الصليبية قريبة من منشأته؛ أي من قصر المعشوق، كما ذهبت الدراسات التي ترجح نسبتها للمعتمد؛ حيث كان يقيم الخليفة المعتمد فيه فترات كثيرة؛ أي كانت إقامته بالضفة الغربية لدجلة على عكس باقي الخلفاء السابقين إياه الذين كانوا يقيمون في الجهة الشرقية، وتؤكد الدراسة على نسبة القبة لفترة خلافة المعتمد، وإن لم تكن ضريح للخليفة المعتمد فربما كانت لأحد الشخصيات البارزة في فترته سواء سياسية أو دينية؛ أي أن تاريخها فترة المعتمد خاصة أنها بناء عباسي شكلا ومضمونا وذلك بتشابهها في أشكال عقود ومواد البناء ، كما ذهبت إحدى الدراسات آنفا، وربما تعرضت لتجديدات في العصور تالية؛ لأنها شهدت أعمال دفن في عصور متأخرة عن فترة بناء القبة.

كما يلاحظ أن المبني كان كبيرا نسبيا؛ مما يعني دفن شخصية بارزة، وليست شخصية عادية، وهو ما دفع إحدى الدراسات أن ترجح كونه ضريحا

---

(١)- على سبيل المثال: دفتر ، القبة الصليبية

لأحد الخلفاء[١]، وهو ما يتوافق مع الخليفة المعتمد، وعلى الرغم من سكنى المدينة في العصور التالية من أشخاص كانوا بارزين وذوى مكانة إلا أن الاستقرار كان في الجزء الشرقي من المدينة حول ضريح الإمام العسكري؛ فما الذي يدعوهم وهم يسكنون في الجزء العامر من المدينة أن ينتقلوا إلى الضفة الغربية؛ ليتخذوا لهم ضريحا، إن صح أنه يرجع لما بعد فترة الخليفة المعتمد وهو ما لا تراه الدراسة وفق الأدلة السابقة الخاصة بمواد البناء وأشكال العقود التي تؤكد على أنها ترجع لفترة الخليفة المعتمد، وهذا لا يعني وجود مساكن في الجزء الغربي بالقرب من القبة الصليبية، ولكن لا يرجح كونهم من علية القوم؛ لتركز المنطقة الحيوية في شرق المدينة .

وإن لم تكن ترجع للخليفة المعتمد؛ فالمرجح أنها ترجع لأحد الأشخاص البارزين في عهده، كوزير أو إمام ديني أو غيره، وخاصة أن المدافن يكون فيها ممر يحيط بالمدفن حتى يتمكن أكبر عدد من الناس من التوجه نحو القبر والدعاء له، وهو يتوافق مع شكل المشاهد المتأخرة والأضرحة وقبور آل البيت .

ومن الجدير بالذكر أن البعض يرى أن هذا النمط من القباب يأخذ بعدا فكريًا فلسفيًا؛ فالقبة ترمز للسماء، وترمز للاتصال بالخالق وبالكون اللامحدود، والمكعب يرمز للأرض واتجاهاته الأربعة وفصولها الأربعة، ، والعلاقة بينهما ترمز للثنائية بين الخير والشر، وإلى ترك الفساد، واتجاه النفوس للسماء في جدلية معمارية بين القبة والمربع الذي ترتكز عليه، وقد تجلى إيمان المعماريين والأمراء والسلاطين بهذه الفلسفة التي تعود لأصول يونانية ومصرية ورافدية، فيما يُسمى عمارة المدافن؛ فكانت القبة عنوانها الرئيسي[٢]

---

(١)- دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٣م، ص٥٣

(٢)-القبة في العمارة

موقع الموسوعة العربية

تاريخ الزيارة ١-١-٢٠١٨

http://www.arab-ency.com/_/details.php?full=1&nid=11976

الخاتمة وأهم النتائج:

١.بينت الدراسة أن تسمية القبة بالصليبية يستبعد أن يكون لوجود صلب في تلك المنطقة، أو لكون أم الخليفة صليبية، أو من قبيلة صليب؛ إنما هو تسمية حديثة لا علاقة لها بالوظيفة .

٢.استبعد أن تكون القبة الصليبية قبرا للخليفة المنتصر و المعتز والمهتدى، ورجحت أن قبرهم كان بالمنطقة الشرقية من دجلة وعلى ذلك لم تكن مقبرتهم في المنطقة الغربية حيث توجد القبة الصليبية.

٣- استبعدت الدراسة كون القبة الصليبية هي "بيت الغنج" الذي يرجع للمعتمد، وترى أن ما ذكر في أحد الأشعار عن مقابلة منشأة سواء يقصد "بيت الغنج" أو"قصر الصبيح" للجوسق وقصر الزو يقابلهم من الناحية الشرقية، وليس الغربية؛ حيث كان موضع القبة الصليبية؛ فمن هنا يستبعد هذا الرأي، كما رجحت الدراسة أن المقصود من البيت "قصر الصبيح" وليس "بيت الغنج". و"قصر الصبيح" يقع بالتأكيد في الجهة الشرقية -إن وجد- في مدينة سامراء، وليس في مدينة المتوكلية؛ لارتباطه ببركة البحتري التي تقع على الضفة الشرقية وليست الغربية حيث القبة الصليبية

٤.رفضت الدراسة أن يكون المبنى حربيًا؛ وذلك لكون الشكل لا يتناسب وطبيعة المباني الحربية والعسكرية من توافر التأمين بها وغيرها من الأمور الأخرى التي لا ترجح كونها مبنى عسكريًا أو حربيًا.

٥.رفضت الدراسة ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن المقصود بقصر الصوامع الذي ورد عند المؤرخين هو "مقبرة العباسيين" وأن القبة الصلييبية هي صومعة من أحد صوامعها وأكدت على أن المكان الذي دفن به المنتصر بجانب هذه المنشأة المعروفة بقصر الصوامع وليس تابعا لها.

٦. رفضت الدراسة رأي نورتج أن القبة الصليبية استخدمت لتعليم الأتراك كيفية الحج؛ وذلك لعدم تشابهها في الشكل مع الكعبة، أو أي من الأماكن المرتبطة بشعيرة الحج في مكة المكرمة، وترى أن هذه القصة مفتراة؛ لتشابهها مع ما ذكر عن قبة الصخرة من أنها كانت لصرف الحجاج عن الذهاب للكعبة، ورفضت الدراسة استنتاج نورتج أنها كانت مبنى تعليميًا؛ لأن رواية المسعودي تعبر صراحة أنها استخدمت بديلًا؛ لصرف الجند عن الحج.

٧- ترى الدراسة أن الأكثر قبولا هو ما ذهب إليه بعض الباحثين من كونها منشأة ترجع لفترة الخليفة المعتمد أي في الفترة التاريخية (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ/ ٨٧٠م - ٨٩٢م) وأن المبنى ديني جنائزي" ضريح"، ويرجح أنه مدفن للخليفة المعتمد ؛ لكونه شخصية عظيمة ولتشابه مواد البناء مع قصر المعشوق، أو لإحدى الشخصيات البارزة في عهده سواء أكانت شخصية سياسية أو دينية.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب اليعقوبي (ت: بعد سنة ٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، ج٣، ١٩٣٩م ،
- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: ٤٢١هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحق: أبو القاسم إمامي ، ط٢، طهران، ج٤، ٢٠٠٠ م.
- -الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٤٤هـ)، البداية والنهاية، تحق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ج١٤، ١٩٩٨ م.
- - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣)، تاريخ بغداد، تحق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (ج٢-ج٨،ج١٢-ج١٤)، (د.ت).
- أبو جعفر بن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ)، تاريخ الطبري "تاريخ الرسل والملوك"، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف،(ج٨: ١٠)، القاهرة،١٩٦٠م.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ط١، تحق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت،ج١٢، ١٩٩٢م
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، دار الرسالة، ج١٢، ٢٠٠١ م، ص٥٥٣

- **محمد بن مكرم بن منظور(ت:٧١١هـ)، لسان العرب دار صادر،بيروت،ج١١،(د.ت).**

المراجع العربية:

- **أحمد سوسة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، مطبعة المعارف، بغداد، ج٢، بغداد، ١٩٤٩م.**
- **أحمد عبد الباقي، سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، ج١، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م**
- **الآثار القديمة في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد،١٩٤٠ م.**
- **بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، تقديم: الأب آلبير ابونا، اصدارات إي-كتب، لندن، ٢٠١٧م.**
- **دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٣م.**
- **عبد الله كامل موسى، العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.**
- **علاء الدين أحمد العاني، المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق، المؤسسة العامة للآثار والتراث، دار الحرية للطباعة ببغداد، ١٩٨٢م.**
- **محمد حمزة إسماعيل الحداد، القباب في العمارة المصرية الإسلامية القبة المدفن؛ نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر المملوكي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٣م،**
- **محمد عبد الستار عثمان، دراسات أثرية في العمارة العباسية والفاطمية، (م.د)، ٢٠٠٣م.**
- **يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، مطبعة دار البصري، بغداد، ج١، ١٩٦٨م.**

الدوريات والمجلات العلمية:

- **كاظم الدجيلي، وصف أطلال سامراء، مجلة لغة العرب، بغداد، ج٥، تشرين الثاني ، ١٩١١م،**

- ناهض عبد الرازق دفتر، القبة الصليبية (تنقيبات موسم ١٩٧٤)/ مجلة سومر، ع٥٣،(د.ت).

الرسائل الجامعية:

- زكريا هاشم أحمد الخضر، خطط سامراء وإشكالية تحديد المواضع بين النصوص التاريخية والدراسات الحديثة، ماجستير، كلية التربية قسم التاريخ ، جامعة سامراء، ٢٠١٦م.

المراجع الأجنبية:

-- Alastair Northedge, The Historical Topography of Samarra, British School of Archaeology in Iraq Fondation Max van Berchem, 2008.

- John Warren, War and the Cultural Heritage of Iraq: A Sadly Mismanaged Affair, Third World Quarterly, Vol. 26, No. 4/5,2005

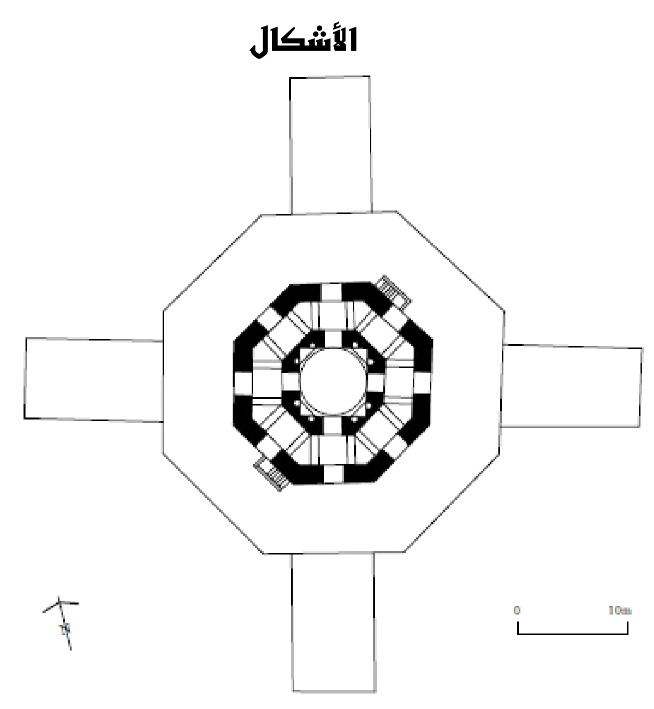
-K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture, the university press, oxford,1940.

-Samarra Archaeological City, Nomination of Samarra Archaeological City for inscription on the World Heritage List, Republic of Iraq Samarra Archaeological City, January, 2006.

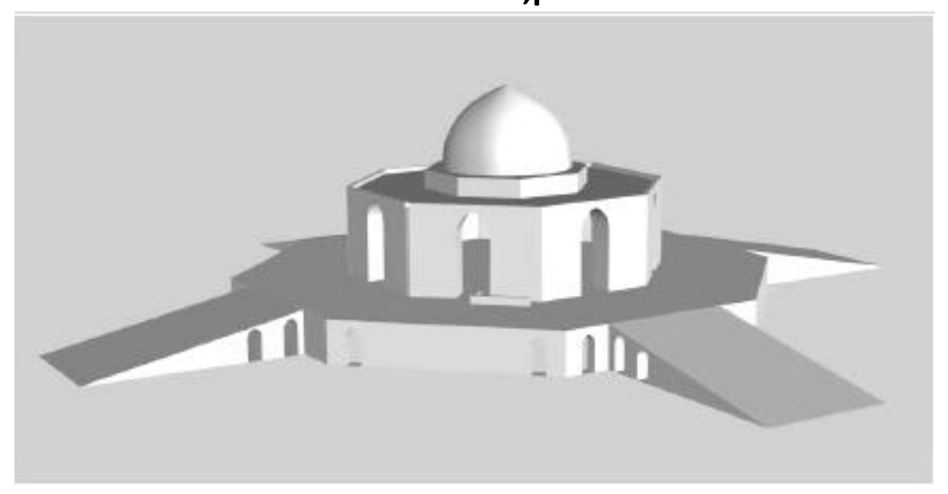
مواقع شبكة الإنترنت:

القبة في العمارة ،موقع الموسوعة العربية
تاريخ الزيارة ١-١-٢٠١٨
http://www.arab-ency.com/_/details.php?full=1&nid=11976

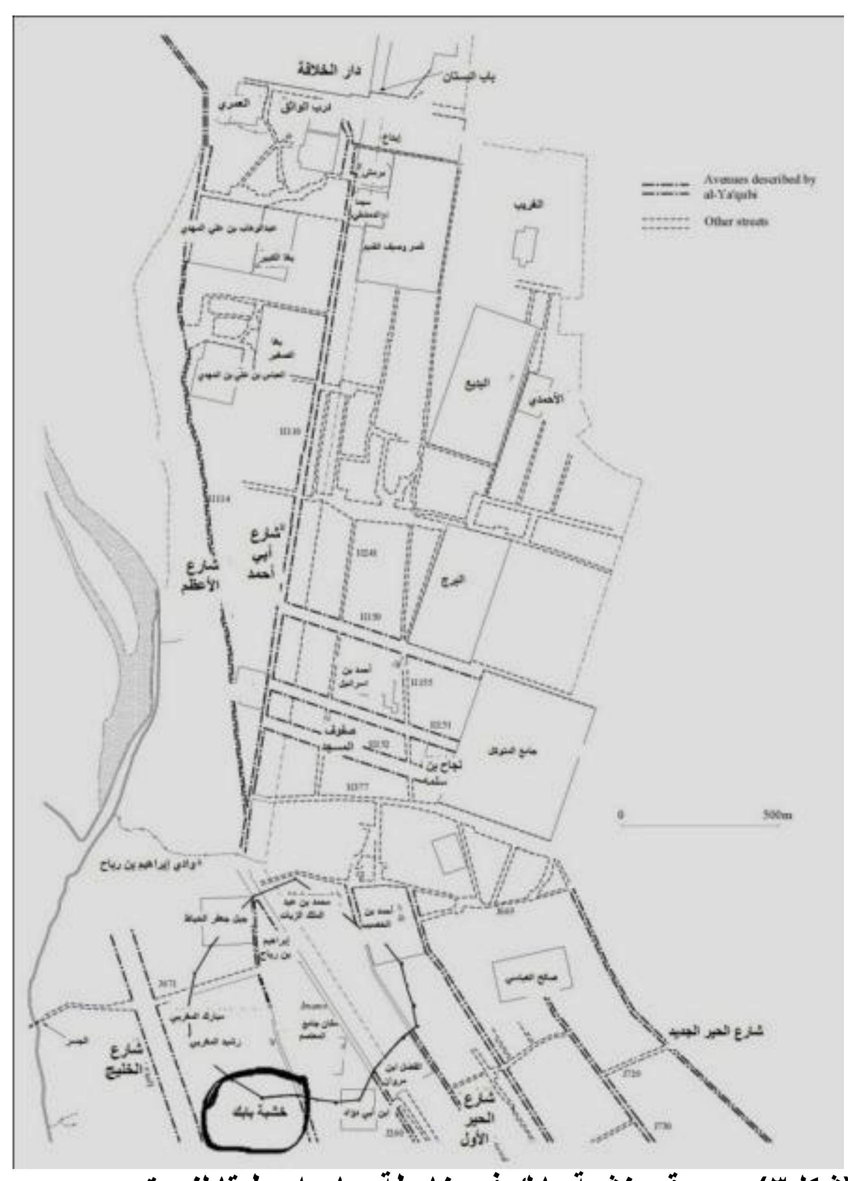
الأشكال



(شكل١) : القبة المعروفة بقبة الصليبية
Alastair Northedge , The Historical Topography of Samarra,p.231

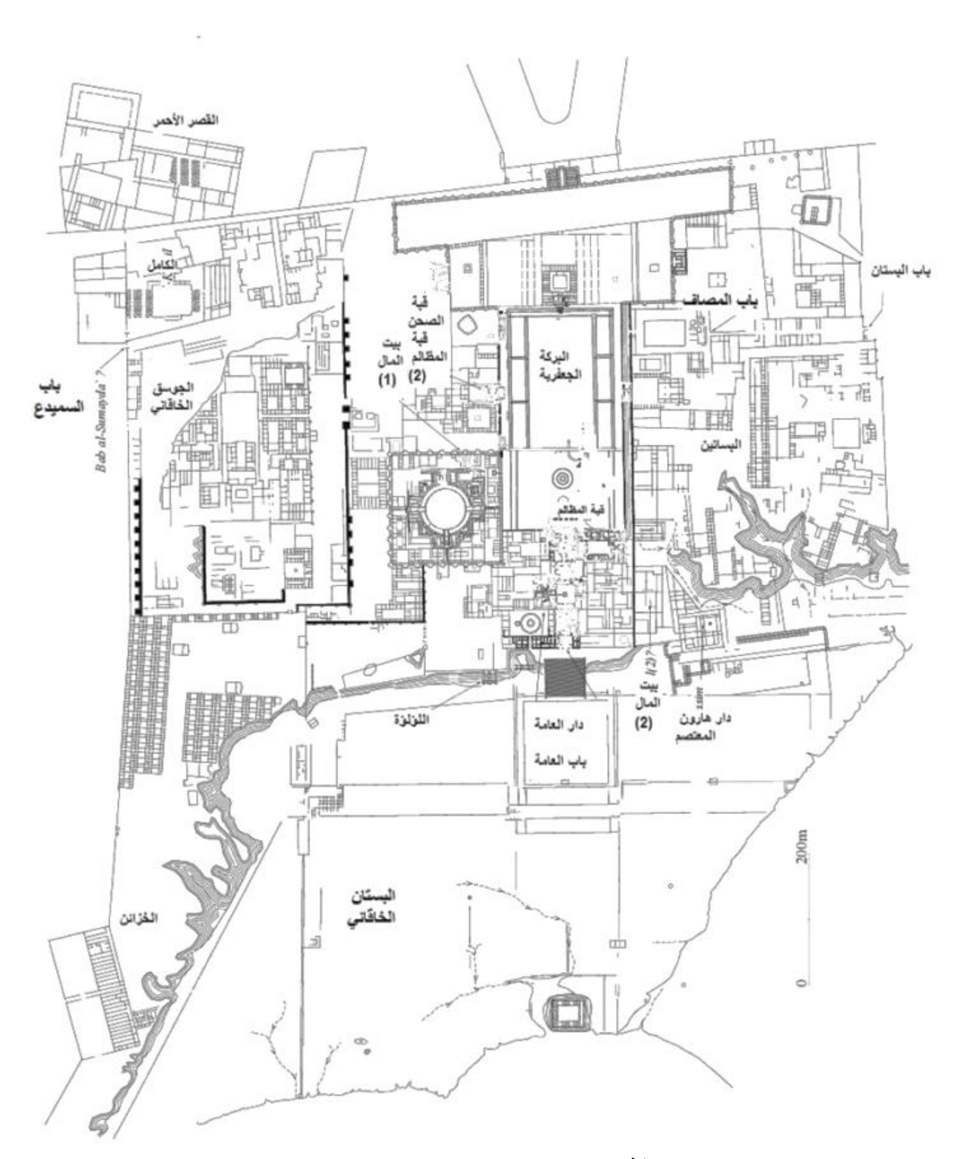


(شكل٢) : القبة المعروفة بقبة الصليبية
Alastair Northedge , The Historical Topography of Samarra,p.231



(شكل٣) : موقع خشبة بابك في خارطة سامراء طبقا لنورتج

Alastair Northedge , The Historical Topography of Samarra,p.231



(شكل٤) : مخطط دار الخلافة ويظهر بها باب السميدع . طبقا لنورتج عن:

- Alastair Northedge, The Historical Topography of Samarra,p.134

اللوحات



(لوحة١) :صورة من جوجل إيرث توضح المسجد الجامع ومنطقة دار الخلافة وحلبات السباق وقصر العاشق والقبة الصليبية على الضفة الغربية من نهر دجلة. عمل الباحث

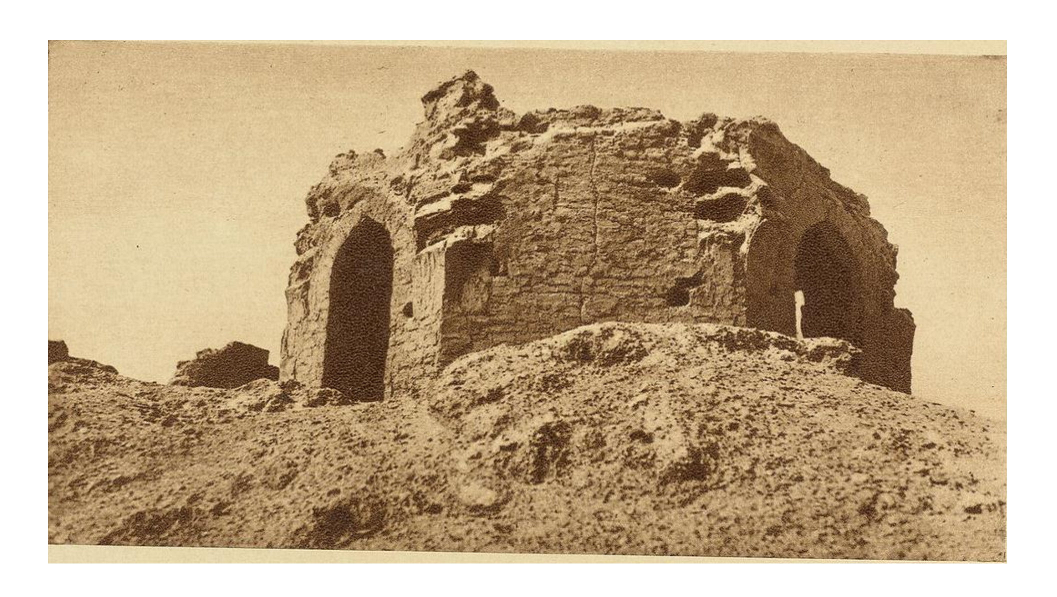


(لوحة ٢) : القبة الصليبية

http://iq.geoview.info/qbh_alslybyh,5307931p



(لوحة٣) : مجموعة من المراقد التي كانت منتشرة خارج سور مدينة سامرا.
زكريا هاشم أحمد، تاريخ الزيارة:١-١-٢٠١٨
https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1913457662257513&set=rpd.100007798924732&type=3&theater



(لوحة٤) القبة الصليبية قبل الترميم. عن:
الآثار القديمة في العراق، ص٣٠